الفصل السادس

الطب البشرى

٦ / ١ الطعام:

علمنا الهدى القرآنى والمدرسة النبوية – قبل أن يكون ثم مدارس وطب حديث – مضار الإسراف فى الطعام، وفضل الاعتدال فى المأكل والمشرب، وتنظيم أوقات الوجبات، وذلك كله أساس الصحة والنشاط؛ وعماد كل علاج، بل إن القدر الرئيسى مما يستهلكه عالم اليوم من دواء يتعلق بأمراض مصدرها الجهاز الهضمى أو شاركت فى استفحالها أسباب غذائية، بينما علمنا الإسلام منذ قرون ما تنطق به هذه الآيات والأحاديث:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

قال ﷺ:

(نحن قوم لانأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لانشبع) (مسلم).

(المؤمن يأكل فى معىً واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء) (البخارى).

(ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه) (الترمذى).

(أكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة) (البزار).

(أصل كل داء البردة (أى التخمة) (السيوطى فى الجامع الصغير).

كما علمنا الرسول الكريم أيضا الأسلوب الصحى لتناول الطعام، كيف نجلس:

(لا آكل متكئا) (البخارى).

(مارئى رسول الله ﷺ يأكل متكئا قط) (أبو داود وابن ماجة وأحمد).

وكيف نتأنى فى ابتلاع الطعام، وذلك لاعطاء هواء المعدة فرصة الخروج فيجنب

المرء ما قد يصيبه من انتفاخ فى المعدة والقولون؛ أو صعوبة فى الهضم وفى التنفس:

(لاتشربوا كنفس واحد شرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسموا إذا أنتم شربتم، واحمدوا الله إذا أنتم فرغتم) (الترمذى).

٦ / ٢ الصيام:

الصوم أفضل العبادات ثوابا لدى المولى عز وجل، وهو مدرسة الصبر والجَلَد، وقد بين الطب الحديث ما للصوم من فوائد طبية: سواء كعادة غذائية سنوية كل رمضان، أو كنافلة لمن يستزيد من فضل الله ورضاه تمتد فوائد الصوم من تقليل مضار السمنة وسكر الدم؛ والزلال عند السيدات، إلى تخفيف حدة أمراض القلب وتصلب الشرايين؛ وما يصحبها من تضخم حجرات القلب وتورم الساقين والقدمين، إلى راحة المعدة والقولون وتحسين الهضم وزيادة فاعلية العقاقير والمساعدة على تفتيت الحصوات، إلى تجديد الخلايا بشكل عام والقضاء على البؤر الصديدية، إلى جانب ما يصحب الصيام من تنشيط الذهن وتخفيف التوتر النفسى وضغط الدم، فلم يكن عجيبا فى يومنا هذا أن تنشأ مصحات فى بلاد مختلفة تعالج الناس بالصوم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣ – ١٨٥].

تؤكد هذه الآيات ما فى الصيام من فوائد لايعلمها إلا الله ومن يعلمون (وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون).

المتأمل فى توقيت صوم رمضان يرى الحكمة فى اختيار الشهور القمرية، حيث يدور وقت الصيام تدريجيا من عام إلى عام عبر فصول السنة، فلايستأثر بلد بصوم الصيف دوما ولاصوم الشتاء دوما.

٦ / ٣ اللحوم:

الأصل فى الأشياء الإباحة، وما حرم الله شيئا إلا لحكمة؛ تخفى علينا حينا حتى نهتدى إليها، ربما بعد قرون، ويتجلى ذلك واضحا فى تحريم لحوم الميتة والدم ولحم الخنزير. أضرار الميتة تتلخص فى أن عدم إسالة دمها يساعد على نمو البكتريا فى الدم المحتبس، كما يحمل دمها مركبات نشادرية قد تؤثر على مخ آكلها كما قد تحمل الميتة أمراضا أو تكون قد ماتت مسمومة؛ أما الدم فسريع امتصاص الميكروبات، فإذا ما تعرض للهواء تتجمع فيه البكتريا؛ وبالدم مواد مهيجة ترفع ضغط الدم، أما لحم الخنزير فيحمل العديد من الطفيليات الخطيرة، وأخطرها دودة تينيا سويلم التى يعد الخنزير العائل الوحيد لها، والتى تكمل دورة حياتها داخل جسم الانسان، وقد تستقر فى مخه فتصيبه بالجنون أو العمى، وقد تعرضه لاحتمال الانسداد المعوى من جراء كتل الديدان وما تفعله الديدان بجدران القناة الهضمية؛ ودودة أخرى خطيرة هى دودة التريخنيا التى تخترق جدران المعدة، ومنها إلى العضلات والأعضاء المختلفة، كما أن الخنزير أكثر الحيوانات احتفاظا بحمض البوليك؛ وذلك الحمض – هو ودهن الخنزير – عسر الهضم وله أبلغ الضرر على الدورة الدموية والمفاصل، ألا يعلم من خلق، بلى وهو اللطيف الخبير، القائل:

﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [البقرة: ١٧٣].

﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٣](١).

الموقوذة: المضروبة بعصا أو حجر، المتردية: التى تسقط من جبل ونحوه،

---

(١) سبق القرآن الطب الحديث بتحريم... «المنتخب»، المنخنقة: من خنقه عصر حلقه حتى مات، الموقوذة التى وقذت (ضربت) بالعصا حتى ماتت (الوسيط)، المتردية التى تقع من جبل أو تطيح فى بئر، أوتسقط من موضع مشرف فتموت (اللسان)، النطيحة، ماتناطح فمات (اللسان)، ذكيتم: من ذكى الشاة ذبحها (الوسيط)، والتذكية: الذبح على التمام (اللسان).

النطيحة: مانطحتها أخرى فماتت؛ ما أكل السبع: أى أكل بعضه (جزءا منه) فمات.

﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٥].

ولما كان الإسلام هدى الله العليم فلم يذهب إلى ما ذهبت إليه بعض الشرائع من إفراط فى تحريم ما أحل الله، فحرموا لحوم الحيوان بإطلاقها: إما دائما وإما فى إطار تحوير عبادة الصيام كما شرعها الله (كما كتب على الذين من قبلكم) إلى صيام عن الطعام الحيوانى فحسب. أكد القرآن تحليل الذبائح بأنواعها عدا ما أشرنا إليه من محرمات، وقد أثبت الطب الحديث الأهمية القصوى لتناول البروتينات الحيوانية، إذ أن هذا النوع من البروتينات هو المصدر الوحيد لتكوين الأجسام المضادة التى تدافع عن الجسم وتحميه من الجراثيم والميكروبات.

من شروط الذبح الإسلامى التذكية: أى إسالة دم الذبيحة لتصفية الدم الفاسد، ويتم ذلك إما بقطع الحلقوم والمرىء والودجين (أى الذبح) وذلك للبقر والغنم والطيور، أو بالطعن فى اللبة (المنحر) إلى مبدأ الصدر (أى النحر) وذلك للإبل وأحياناً للبقر،أو جرح الحيوان غير المقدور عليه فى الصيد (العقر) كما جاء فى الأحاديث الشريفة:

(ألا إن الذكاة فى الحلق واللبة) (الدارقطنى).

(ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا مالم يكن سنا أو ظفرا) (الجماعة).

وليسأل القارىء نفسه من الذى هدى النبى الكريم ﷺ إلى هذا الأسلوب الذى أثبت الطب الحديث حكمته، كما جاء فى تقرير منظمة الصحة العالمية عام ١٩٨٨ من الميلاد.

٦ / ٤ العسل:

أشاد الله ورسوله فى القرآن والحديث بفوائد عسل النحل، فإلى جانب سهولة تمثيله وامتصاص سكرياته، ثبت تجريبيا قضاؤه على الكثير من الجراثيم بفضل مابه من مضادات حيوية تفرزها النحلة الشغالة، كما استخدم فى مجالات تعقيم الجروح من التقيح -والتى يساعد العسل أيضا على سرعة التئامها، وفى شفاء التهابات الأنف والحنجرة، وقد اكتشف مؤخرا أنه المادة الوحيدة فى الطبيعة التى يتوافر بها عقار الأنترفرون المضاد للنمو السرطانى، كما لوحظ أنه يساعد - بإذن الله - على مقاومة أعراض الشيخوخة، وأكثر من يطلق عليهم المعمرون يواظبون على تناوله، كما تتضح فوائده يوما بعد يوم لمرضى القلب والكبد وقرحة المعدة والحمى الروماتزمية والتيفود، وفى مقاومة التسمم الخارجى والداخلى، كما أن له تأثيرا مساعدا لتخفيف أعراض الاكتئاب والأمراض النفسية وضيق التنفس؛ وكذلك لجلب النوم الهادىء، كما يستخدم فى علاج بعض الأمراض الجلدية كالأرتكاريا والأكزيما، حتى ظهرت مراجع متخصصة تتناول فوائد وأوجه العلاج بعسل النحل كتبها مؤلفون غير مسلمين (تضاف إلى العديد من كتابات العلماء المسلمين) مثل:

- « عسل النحل »، تأليف إيفاكرين، طبع هاينمان، ١٩٧٥.

- « العلاج بعسل النحل »، تأليف د.ن. يويريش، ترجمة محمد الحلوجى وصدق تعالى فى قوله:

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩][(١)].

وصدق الرسول الكريم فى حديثه:

(عن أبى سعيد أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال: أخى يشتكى بطنه، فقال: اسقه عسلا، ثم أتاه الثانية فقال: اسقه عسلا، ثم أتاه الثالثة فقال: اسقه عسلا، ثم أتاه

---

(١) العسل مفيد فى كثيرمن الأمراض ويعطى بطريق الحقن والفم والشرج بصفته مقويا... وضد التسمم من مختلف المعادن، وضد التسمم الناشئ من أمراض الأعضاء، مثل التسمم البولى والصفراء وغيرهما، وبه نسبة عالية من الفيتامينات وخاصة ب المركب (المنتخب).

فقال: قد فعلت، فقال: صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا، فسقاه فبرأ) (البخارى) .

(شفاء أمتى فى ثلاث: شربة عسل، وشرطة لحم، وكىّ وما أحب أن أكتوى) (البخارى) .

٦ / ٥ الرضاع:

حض القرآن الكريم على الرضاعة الطبيعية للأطفال، ثم أثبت العلم الحديث أهمية لبن الأم لحسن تغذية المولود ولوقايته من العدوى ومن أمراض الحساسية والفم، ولوقاية الأم من مشاكل الثدى والعمل على استقرار الرحم بعد الولادة والمساعدة فى تنظيم الحمل، ولتوفير الاحساس بالدفء والأمومة للرضيع، وجاء ذلك فى القرآن بثلاث صور مختلفة فى آيات ثلاث:

١ـ ﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [البقرة: ٢٣٣](١) .

٢ـ ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾ [لقمان: ١٤] .

٣ـ ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الأحقاف: ١٥](٢) .

---

(١) وتثبت البحوث الصحية والنفسية اليوم ذلك، ولكن نعمة الله على الجماعة المسلمة لم تنتظر بهم حتى يعلموا هذا من تجاربهم « الظلال » .

(٢) (الأحقاف: ١٥)وقد استدل العلماء بهذه الآية مع التى فى لقمان (لقمان / ١٤): « وفصاله فى عامين » على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر وهواستنباط قوى صحيح (الصفوة)، أقل مدة الحمل ٦ شهور لهذه الآية والآيتين الأخريين، فبإسقاط مدة الفصال عن مدة الحمل والفصال يبقى للحمل ستة أشهر، وهذا يتفق مع ماثبت علميا من أن الطفل إذا ولد لستة أشهر فإنه قابل للحياة (المنتخب) .

وبيان ذلك علمياً: أن لبن الأم به نسبة عالية من البروتينات والسعرات الحرارية؛ ومن الأملاح والأجسام المضادة للأمراض، وهو دائما معقم يخرج فى درجة حرارة تناسب الرضيع صيفا وشتاء، يتغير لبن الأم فى تركيبه منذ لحظة الولادة؛ فلبن الأيام الثلاث الأولى (المسمى باللبأ أو الكلوستروم) به نسبة عالية من البروتينات والمضادات الحيوية التى تحمى المولود فى هذه المرحلة المبكرة؛ ثم يتطور تركيبه مع احتياجات الرضيع وقدرته على تمثيل الغذاء – طوال فترة الرضاعة، تفرز المرضع هرمون البرولاكتين الذى يعمل على عودة الرحم إلى طبيعته، كما أن الإفراز المستمر للبن بالإرضاع يحمى الأم من الخراريج المزمنة التى يسببها تجمع اللبن بالثدى – والتى تزيد احتمال تكون الأورام الحميدة والخبيثة، وقد فطن العلم الحديث مؤخراً إلى هذه الحقائق، فقامت حملات وبرامج عالمية منظمة لنشر الوعى، والتأكيد على مواصلة الرضاعة الطبيعية طوال العامين الأولين من حياة الطفل – كما حددها القرآن – حفاظا على صحة الأم والطفل، إلى جانب دورها كوسيلة ثانوية لتنظيم الحمل: إما إراديا لضمان استمرار لبن الأم – حتى لاينقطع بالحمل، أو لا إراديا حيث يعمل الإرضاع فى كثير من الأحوال على تأخير عودة الدورة الطبيعية للأم.

لو تأملنا فى آيات الرضاع الثلاث لتبين لنا مدى الدقة المعجزة فى التعبير عن ثلاث أحوال للحمل والولادة بتعبيرات تتطابق مع كل حالة:

– الحالة الأولى حيث الحمل والولادة؛ والأم والمولود؛ فى أحسن حال، يكون الرضاع لحولين كاملين،

– الحالة الثانية حيث تكون الأم ضعيفة البنية والصحة؛ ولكن الحمل والولادة قد سارا بسلام، تكون مدة الرضاعة عامين دون اشتراط كمالهما – تبعا لقدرة الأم،

– أما الحالة الثالثة؛ والتى وردت فيهاكلمة «كرها» مرتين – تعبيراً عن مدى التعب والمعاناة فى الحمل والوضع؛ وعادة ماتكون فيها مدة الحمل أقصر، فقد تنقص إلى ستة شهور فيحتاج الطفل إلى فترة الرضاعة القصوى لتعويض ضعفه – إذا أمكن – ليصل مجموع فترة الحمل والرضاع إلى ثلاثين شهرا، وقد يطول الحمل – بمشقة شديدة فى هذه الحالة – إلى تسعة شهور، وهنا ينبغى تقليل مدة الرضاعة تيسيرا على الأم إلى أقل من ٢١ شهراً.

ومن ناحية أخرى قد يستنبط من قراءة الآيات مجتمعة أن الحد الأدنى للحمل

ستة شهور – وهو ماثبت علميا.

٦ / ٦ الخمر:

أضحت مشكلة الخمر أو «الكحولية» أخطر عامل يهدد صحة العالم، وأصبح فى تأثيره المدمر – طبقا لاحصائيات أجريت عام ١٩٨٧م – أخطر من المخدرات ومن السرطان ومن الإيدز، ذلك الشراب الذى حرمه الإسلام منذ أربعة عشر قرنا، وحرمته الشرائع السماوية قبل ذلك (وقبل أن يُحَرَّف فيها ماحُرِّف)؛ قبل أن يعرف البشر مانعرفه الآن من حكمة تحريم الخمر من الناحية الطبية – إلى جانب الحكمة التربوية والاجتماعية والتشريعية، فثمة «موسوعة» من الأمراض مصدرها ذلك الرجس اللعين: من أمراض للجهاز الهضمى كالقرحة وتسمم الخمائر المعوية والإخلال بتمثيل الفيتامينات والتهابات الكبد وتليفه وتسمم الكلى بالبولينا، إلى أمراض الجهاز العصبى المركزى وإضعاف الذاكرة وتشويش العقل، إلى أمراض الأنف والأذن والحنجرة كالصمم العصبى الناتج عن التسمم الكحولى والتهاب الحلق والحنجرة والبلعوم والتهاب الأحبال الصوتية المؤدى إلى سرطان الحنجرة، إلى التأثير على العصب البصرى، وإضعاف الجهاز المناعى، والتأثير على عضلة القلب والمساعدة على تصلب الشرايين، واحتقان الجهاز التناسلى وضمور الخصيتين، وأخيرا مرض الإدمان الكحولى، سبحانك ربى وسعت كل شئ علما وأنت القائل:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾

[البقرة: ٢١٩].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

ثم يبين الرسول ﷺ منهج المسلم فى قطع الطرق وسد الذرائع الموصلة إلى الإدمان فى أحاديثه:

(كل شراب أسكر فهو حرام) (البخارى).

(كل مخمر خمر وكل مسكر حرام) (أبو داود) .

(كل مسكر خمر وكل خمر حرام) (مسلم وأحمد وأبوداود) .

(كل مسكر حرام) (أحمد والبخارى ومسلم) .

(من شرب الخمر لم يقبل الله منه صلاة أربعين صباحا) (الترمذى وابن ماجة وأحمد) .

(لعن الله فى الخمر عشرا : عاصرها ومعتصرها وشاربها ومقدمها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها وشاريها ومهديها وآكل ثمنها) (ابن ماجة والترمذى) .

(إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم) (البخارى) .

٦ / ٧ الحيض :

قال تعالى : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

الأمر بتجنب الجماع أثناء المحيض إعجاز طبى كشفت حكمته المعارف الطبية الحديثة لمضاره على الجنسين؛ التى ترجع إلى ضعف حمضية المهبل (اللازمة لقتل الميكروبات) واحتمال وصول مادة البروستاجلاندين الموجودة بالمنى إلى دم المرأة – وهذه المادة تؤدى إلى نقص المناعة، كما أن الجماع فى ذلك الوقت يؤدى إلى تسلخات تساعد على نمو البكتريا، وانقباضات الرحم خلاله تدفع هذه البكتريا إلى تجويف الرحم .

ولنفس الحكمة أيضا هدى الله رسوله ﷺ إلى النهى عن إتيان الدبر فى الأحاديث :

(ولا تأتوا النساء فى أعجازهن، فإن الله لايستحى من الحق) (الترمذى وأحمد والدارمى) .

(إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يجامعوها . . . . فسأل أصحاب رسول الله ﷺ : مايصنعون . . . فقال : اصنعوا كل شئ ماخلا النكاح) (مسلم) .

(من أتى امرأة فى دبرها لم ينظر الله إليه يوم القيامة) (القرطبى فى تفسيره) .

٦ / ٨ العـدة :

فى تشريع الطلاق وقّت الله سبحانه وتعالى مدة العدة بثلاث حيضات، قبل أن ترتبط المرأة بزواج جديد، وحكمة ذلك أنه قد ثبت أن دم الحيض قد يأتى بعد وقوع الحمل (الاستحاضة) ويتكرر؛ قبل أن يملأ الجنين الرحم -- أى فى الشهور الثلاث الأولى؛ وفى مثل هذه الحالات قد تستحيض الحامل مرة واحدة « أحياناً »؛ أو مرتين « نادراً »، بينما « يستحيل » علميا أن تستحيض الثالثة، ﴿ **ألا يعلم من خلق، بلى وهو اللطيف الخبير** ﴾، وهذه آيات التشريع :

﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [البقرة : ٢٢٨][(١)] .

﴿ **وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** ﴾ [الطلاق : ٤] .

٦ / ٩ الزنـــا :

حرم الله الزنا وسدَّ الذرائع المؤدية إليه؛ بالدعوة إلى الاحتشام ومنع الفتنة التى يسببها التزين المفرط أو التعطر المثير، وذلك لحكمة لم يدركها العلم حتى ظهور المجهر واكتشاف ميكروبات الأمراض التناسلية؛ التى لاتنتقل وتنتشر إلا بالعلاقات الجنسية المحرمة أو الشاذة؛ كأمراض الزهرى والسيلان؛ بمضاعفاتها الخطيرة التى تودى بأجهزة الجسم وتفتك بالحياة، ثم مرض الإيدز : مرض نقص المناعة الذاتية وطاعون العصر – عصر الجاهلية الجديدة :

---

(١) وذلك أن الاستبراء لايكون مؤكدا إلا بعد ثلاث حيضات، والحامل لاتحيض عادة، وإن حاضت فإن ذلك يكون مرة أو مرتين على الأكثر، إذ أن الجنين يكون قد نما بعد هذه المدة إلى درجة يملأ معها تجويف الرحم فيمنع نزول دم الحيض... وماكان معلوما عند العرب، وماكان للنبى الأمى أن يعلمه (المنتخب) .

﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ [الإسراء : ٣٢] .

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ٢] .

﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٨] .

ولأن الإسلام رسالة الخالق العليم الذى يعلم طبيعة خلقه؛ فلم يكتف بالموعظة وبالنهى عن الزنا وسن الحدود والعقوبات، بل سد كل السبل المؤدية إليه فى المجتمع، وذلك مايفهم أيضا من عبارة « لاتقربوا » أى ابتعدوا عنه وعن كل مقدماته، فأوجب الاحتشام فى الزى :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

وأكد ذلك أحاديث الرسول ﷺ ومنها :

(يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا . . . وأشار إلى وجهه وكفيه) (أبو داود) .

(صنفان من أهل النار لم أرهما : رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليُشم من مسافة كذا وكذا) (أحمد ومسلم) .

(لا يقبل الله صلاة من امرأة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع

فتغتسل) « أى لتذهب رائحتها قبل دخول المسجد » (أبوداود وابن ماجة وابن خزيمة) .

(أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهدان العشاء) (أبوداود والنسائى) .

وأمر تعالى بغض البصر:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ .... ﴾ [النور: ٣٠، ٣١] .

ولم يكتف ببيان النواهى والمحظورات، بل حض على الزواج الحلال ويسر سبله:

﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٢] .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١] .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٨٩] .

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٢] .

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النساء: ٢٥] .

وقال رسول الله ﷺ فى التشجيع على الزواج:

(ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد فى سبيل الله، والمكاتب الذى يريد الأداء، والناكح يريد العفاف) (الترمذى والنسائى) .

(تزوجوا الودود الولود، فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة) (أبو داود والنسائى وأحمد).

(يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) (الجماعة).

(الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة) (مسلم).

(... أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى) (البخارى ومسلم).

(ما استفاد المؤمن - بعد تقوى الله عز وجل - خيرا له من زوجة صالحة) (ابن ماجة).

وأباح الطلاق - عند تعذر استمرار العشرة، وكذلك تعدد الزوجات - للضرورة القصوى؛ وبشرط العدل التام؛ بدلا من الزنا المستتر الذى يتفشى فى الأمم التى تقيد الطلاق ولا تسمح بالتعدد.

٦ / ١٠ اللـواط:

هاقد لاح لحضارة أواخر القرن العشرين شبح الطاعون الأبيض: الإيدز؛ والذى ينتشر كالهشيم حيثما انتشر اللواط؛ ومثله البغاء؛ والمعاشرة الجنسية الشاذة، وقد حرم تشريع الخالق العليم كل هذه الانحرافات، وسلط القصص القرآنى الأضواء مراراً على قوم لوط وجعلهم عبرة للعالمين على امتداد الزمان:

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ . إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [الأعراف: ٨٠، ٨١].

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ . أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [النمل: ٥٤، ٥٥].

﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ . وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦٥، ١٦٦].

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٨].

كما نهى الرسول ﷺ أمته عن اللواط فى أحاديثه:

(إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان). (البيهقى).

(من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول) (أبوداود والترمذى والنسائى وابن ماجة).

٦ / ١١ البرص:

أثبت طب الأمراض الجلدية استحالة علاج مرض البرص أو البهاق؛ لارتباطه بموت خلايا الميلانين الملونة؛ والتى يستحيل بعثها من جديد، وكل ماقد يفعله الطب هو تنشيط ماقد يتبقى من خلايا؛ لتخفيف الأمر لا لشفائه، ومن هنا فإن شفاء البرص – علميا – معجزة، وذكره فى القرآن فى معرض المعجزات التى أجراها الله على يد عيسى عليه السلام يتفق مع مابينه العلم الحديث:

﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].